التجسيم في الديانات السماوية

بحث تقدم به

د. وليد عبد الجبار أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا بحث تناولت فيه مشكلة التجسيم والتي تعد مرضاً خطيراً أصاب الديانات السماوية الثلاث. باعتبار أنَّ لتلك كتباً ونصوصاً يمكن أن يقرأها كل واحدٍ.

والمشكلة تكمن أنَّ هناك ألف ظاً توهم قارئها بوجه شبه بين الخالق والمخلوق وذلك عند الكلام عن الباري سبحانه مثل اليد والوجه والقدم وهكذا فالبعض وقع في تشبيه الله سبحانه بخلقه وسعى لينعت الخالق العظيم سبحانه بالطول والعرض، والبعض جسّم أي وقع في التجسيم والمعلوم أنَّ الجسم مركب من اتحاد جوهرين فاكثر والعرض ما قام بغيره، فالجسم كالوجه واليد والعرض كالقدرة والعلم وهكذا فالاثنان حادثان.

والآخر مضى بعكس الطريق ليتره خالقه فقام بإلغاء جميع ما ورد من نصوص توهم شبه الباري بخلقه فألغى الوجه واليد والقدم وهكذا فوقع في المحظور وهو التعطيل، ومن هنا أخذت نموذجاً واحداً من هؤلاء وهو التجسيم في الديانات الثلاث، وسوف أقدم بعض الأدلة على ذلك من خلال النصوص، فالبحث ابتدأ بتمهيد لتعريف الجسم والتجسيم لغة واصطلاحاً ثم أسست البحث على منهج قرآني، ثم الفصل الأول وتناولت فيه التجسيم عند اليهود من خلال التوراة ثم نظرة قرآنية للموضوع ثم فعلت نفس الشيء مع المسيحية ثم الفصل الثاني تناولت التجسيم عند الفرق الإسلامية، ورأي العلماء في هذا الموضوع وكيف اختطّ السلف الصالح منهجين لا ثالث لهما وهما التفويض والتوقف أو التأويل الصحيح. واختتمت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النت ج التي وصل إليها البحث ثم مصادر ومراجع البحث.

تمهيد
بيان مفهوم التجسيم في اللغة والاصطلاح

التجسيم لغة: كلمة التجسيم مشتقة من لفظة جسم وهي في التركيب من ثلاثة أحرف الجيم والسين والميم وتدل هذه الحروف الثلاثة على تجمع الشيء.[1]

وقال ابن دريد: ((الجسم والجمع جسوم وأجسام وكل شخصٍ مدرك))[2].

وقال الفراهيدي: ((يجمع البدن وأعضاءه من الناس والإبل والدواب))[3].

وقال ابن منظور: ((الجسم جماعة البدن أو الأعضاء من الناس، وجسم الشيء حقيقتهُ))[4].

التجسيم اصطلاحا: يطلق لفظ التجسيم ــ Figuration ــ على الفكر الذي يتبنى أصحابه تحويل الإله أو بعض صفاته إلى جسم أو تشبيهه بالبشر، أو بأحدٍ من خلقه. وقد ظهرت هذه المشكلة في كل الديانات السماوية بدءاً من اليهودية ثم النصرانية وأخيراً في الإسلام وهنالك وجه مقارنة أو تشابه بين المشبهة والمجسمة فالتشبيه مصطلح عام والتجسيم مصطلح خاص فكل مشبه هو مجسم

---

[1] أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران ــ قم ٥٧.

[2] أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٢١ هـ)، جمهرة اللغة، أعادت طبعه مكتبة المثنى، بغداد ١٤.

[3] أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ٧٥ هـ)، العين، تحقيق د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي ١٠.

[4] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت ٩٥٦ م ٢ ١٩.

وليس العكس لأن التشبيه يطلق على تشبيه الخالق بالمخلوقات بينما التجسيم ليس شرطه أن يتشبه الخالق بمخلوقاته بل تحويل بعض صفاته إلى جسم ومقارنتها بالبشر. ونحن نعلم أنَّ الموجودات إما أجسام كالوجه واليد وإما أعراض كالقدرة والعلم، على أن لا ننسى أنَّ طرف هذا الإفراط وهو التجسيم هو التعطيل وهو من التفريط ويطلق هذا المصطلح على الفرق التي استخدمت نقيض أسلوب المجسمة في فهم النصوص التي توهم التشبيه فقاموا بإلغاء كل صفة لله عز وجل بحجة التتريه وكان ذلك بسبب المغالاة في التوحيد من قبل بعض الفرق كالمعتزلة حتى وصلوا إلى التعطيل. [1]

منهج البحث على أساس قرآني:

من المعلوم أن العلماء انقسموا في تأويل المتشابه [2] إلى مذاهب عدة فمنهم من أوَّل ومنهم من فوَّض ومنهم من شبه ومنهم من عطل وسوف يأتي لاحقاً. ولكنني أضع أمام القارئ بادئ ذي بدء أس سيات قرآنية تعد الخطوط العريضة لكل مسلم يدخل أو يريد الغور في معرفة الذات الإلهية فتكون له بمثابة الحصن الحصين لئلا يدخل له الشيطان من هذا المدخل، بقوله له كيف هو ربك سبحانه

١ . **قال تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾** [3] .

قال الطبري ((معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها)) .

---

[1] محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني (ت ٤٨ هـ)، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ٤٠٤ هـ ٠.

[2] هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً كالمقطعات في أوائل السور. ينظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ١٦، هـ)، التعريفات، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٤٠٥ هـ ٥٣.

[3] سورة الأنعام، الآية ٠٣ .

وقال ابن كثير ((فيه أقوال للائمة من السلف احدهما لا تدركه الأبصار في الدنيا وإنْ كان تراه في الآخرة))ʼ .

وفيه ((لا تدركه الأبصار أي العقول))ˇ .

وقال ابن أبي حاتم في رواية عن أبي زرعة ((لو أنَّ الجـــن والإنـــس والشـــياطين والملائكة منذ أن خـ قوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً))ˌ .

وقال ابن الجوزي ((في الإدراك قولان احدهما بمعنى الاحاطة والثاني بمعنى الرؤيـــة وفي الأبصار قولان احدهما انها العيون قال الجمهور))ˈ .

٢. قال تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ˈ .

امتلأت كتب التفاسير من الروايات لتي تتحدث عن كيفية طلب سيدنا موسى (عليه السلام) من ربه أن يراه وكيف كانت النتيجة أن تجلى ربه عز وجل قدر كذا من نوره، وكان بعض هذه الروايات من الإسرائيليات.

والذي يهمنا أنَّ طلب موسى (عليه السلام) من ربه أن يراه في الدنيا جاء بالرفض التام والقاطع، مع الإشا ة إلى أن للعلماء خلاف في حرف (لن) هل هو للتأبيد أم للتأقيت، ومن الآية استدل المعتزلة على عدم جواز رؤية الله عز وجل في الآخرة ويذكر ابن الجوزي هنا أنَّ (لن) هنا لا تفيد الأبدية بدليل أنه مـــع قولـــه

(محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (د ١٠ˇ هـــ)، جامع البيان عن تأويل آي القـــرآن، دار الفكر، بيروت ٤٠٥ هـــ ʼ ٩٩ʼ.

(ʼ إسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٤ʼ هـــ)، تفسير ابن كـــثير، دار الفكـــر، بـــيروت ٤٠١ هـــ ʼ ٦٢ .

(ˇ المصدر السابق ʼ ١٦٢

(ˌ عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي (ت ٢٧ʼ هـــ)، تفسير ابن ابي حاتم، تحقيق اسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا : ٢٦٢ .

(ˈ عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٧٠ هـــ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الثاث ٤٠٤ هـــ ˇ ١٨.

(ˈ سورة الأعراف، الآي ٤٣ .

تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [1] فهم سوف يتمنون الموت في النار بدليل قوله تعالى: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [2] وإنما تفيد عدم الرؤية في الدنيا كما نقل عن ابن عباس [3].

٢. قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [4].

قال العلماء لا يستلزم عدم الاحاطة عدم الرؤية كما ورد في الدعاء لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك [5] لا يستلزم عدم الثناء [6].

وقال صاحب المغني ((لا تدركه الأبصار ولا تغيره الإعصار ولا تتوهمه الأفكار وكل شيء عنده بمقدار)) [7].

وقال الشوكاني ((لا تحيط علومهم بذاته ولا بصفاته ولا بمعلوماته)) [8].

إذن القران الكريم خطَّ للبشرية خطوطاً أساسية فيما يخص كنه الذات الإلهية وهي:

١. أنَّ الذات الإلهية لا يمكن أن تدرك بالبصر العادي البشري الحالي في الدنيا.

٢. إنَّ رؤية الله عز وجل لا يمكن ان تكون في هذه الدنيا، على رأي جماهير المسلمين.

---

[1] سورة البقرة، الآية ٩٥.

[2] سورة الزخرف، الآية ٧٧.

[3] زاد المسير ٢/ ٥٦.

[4] سورة طه، الآية ١١٠.

[5] الحديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف باب الدعاء الحديث برقم ٢٩١٤٠.

[6] ابن كثير، التفسير ٣/ ٦٢.

[7] عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، المغني في فقه الإمام احمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر ١/ ٧.

[8] محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، التفسير، دار الفكر، بيروت ٣/ ٣٨٧.

٢. جواز رؤية الله عز وجل في الآخرة، وفي هذا الموضوع الخلاف الكبير بين العلماء إلا أنَّ الراجح الجواز لأدلة كثيرة منها:

أ/ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ .

ب/ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٬ .

) سورة يونس، الآي ٦٬ .

٬) سورة ال يامة، الآيتاد ٢ ٬٣ .

الفصل الأول
التجسيم في الأديان السماوية

وقع اتباع الأ يان السماوية الثلاثة في التجسيم للذات الإلهية من خـــلال تفسير خاطئ للنصوص أحياناً، والحين الاخر بنية التشويه للنص وتحريفه كما وقع ذلك في الديانتين اليهودية والمسيحية ولهذا سوف أقتبس بعض النصوص القرآنيـــة والتي دلَّت بأن اليهود والنصارى وقعوا في فخ التضليل الذي مارسه دعاة تحريف الديانات.

المبحث الأول
التجسيم عند اليهود

وقع اليهود في التجسيم بل هم أول من بدأ بتحريف النصوص كما قصَّ علينا القرآن الكريم بقوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ .
وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ ىنْ عِندِ اللّهِ﴾ .

فهذه هي المشكلة الأساسية الأولى عندهم وهي التحريف، وفيما يلـــي بعض النصوص التوراتية لنسخة العهد القديم الحالية والتي تشبِّه الخالق بـــالمخلوق وقد اخترت سفر التكوين أو سفر ابتداء الخليقة كما يسمى كأنموذج.
جاء في قصة آدم :

،) فسمعا وقعَ ـ طى الرب الإله وهو يتمشى في الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين أشجار الجنة. ،) فنادى الرب الإله الإنسان وقال له: "أين أنت؟" ٠) قال: "إني سمعت وقع خطاك في الجنة فخفت لأني عريان فاختبأت" ١) قال: "فمن أعلمك انك عريا ؟ هل أكلـــت مـــن

(سورة المائدة، الآي ٣ .

(سورة آل عمران، الآي ٨ .

(سفر التكوير ٣ .

الشجرة التي أمرتك ألا تأكل منها؟" ٢) فقال الإنسان: "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" ٣) فقال الرب الإله للمرأة: "ماذا فعلت؟" فقالت المرأة "الحية أغوتني فأكلت".

انظر وقعوا في التجسيم بقول الكاتب "يتمشى".

وجاء في التوراة :

فندم الرب على انه صنع الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه.

هل هناك رب حقيقي يندم على أفعاله؟.

وفي التوراة :

"فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لن أعود إلى لعن الأرض بسبب الإنسان".

السؤال: كيف عرف الكاتب ما قاله الرب في قلبه؟.

جاء في سبب تسمية بابل من نص :

) فترل الرب ليرى المدينة والبرج اللذين بناهما بنو آدم.) وقال الرب "هو ذا هم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة، وهذا ما اخذوا يفعلونه. والآن لا يكفون عما همّوا به حتى يصنعوه.) فلنترل ونبلبل هناك لغتهم، حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض.

وفي زيارة الملائكة لإبراهيم (عليه السلام) :

) وتراءى الرب له عند بلوط ممرا، وهو جالس بباب الخيمة، عند احتداد النهار.) فرفع عينيه ونظر، فإذا ثلاثة رجال واقفون بالقرب منه فلما رآهم، بادر إلى لقائهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض.) وقال: "سيدي، إن نلت

() سفر التكوين ١ ١.
() سفر التكوين ١ ٢١.
() سفر التكوين ١ .
() سفر التكوين ٨ .

حظوة في عينيك، لا تجز عن عبدك،) فيقدم لكم قليل من المـــاء فتغســـلون أرجلكم وتستريحون تحت الشجرة،) وأقدم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم ثم تمضون بعد ذلك، فأنكم لذلك جزتم بعبدكم". قالوا: "افعل كما قلت".

إذن ضيوف إبراهيم (عليه السلام) هم الملائكة برفقة رب العالمين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وفي صراع يعقوب (عليه السلام) وسبب تسميته إسرائيل :

٦) فصارعه رجل إلى طلوع الفجر. ورأى أنه لا يقدر عليه، فلمـــس حُـــقَّ وركه، فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له. ٧) وقال: "اصرفني، لأنه قد طلع الفجر". فقال يعقوب: "لا أصرفك أو تبا ركني". ٨) فقـــال لـــه: "مـــا اسمك؟" قال: "يعقوب" ٩) قال: "لا يكون اسمك يعقوب فيمـــا بعـــد، بـــل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس فغلبت".

إذن يعقوب صارع ربه سبحانه وتحول اسمه إسرائيل بعد ذاك وهل هناك كفـــر اكبر من هذا التشبيه.

) سفر التكوين ٢٢ ٦ ٩ .

مطلب
نظرة قرآنية للتجسيم عند اليهود

أكدَّ القرآن الكريم على هذا الموضوع من خلال آيات عدة بعد أن بـين طبيعة النفس اليهودية في أنها لا تقف عند حدٍ للإيمان بخالقها فلا تعترف بما يسمى بالإيمان (بالغيب) كركنٍ من أركان إيمان المؤمن والتي يتضح من خلالها حقيقـة المؤمن الصادق، بدليل أن أول صفات ا ؤمن التي أرادها رب العالمين هي تلـك الصفة قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [1] ولهذا نرى أنَّ اليهود علقوا إيمـانهم بموسى (عليه السلام) إلى أن ينظروا إلى رب العالمين جهرة، قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى الـٰهَ جَهْرَةً﴾ [2] .

ولهذا عندما جاء الإسلام طلب القرآن الكريم من المسلم عدم اتخاذ اليهود كأسوةٍ حسنة في هذا المجال، قال تعالى ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ [3] .

وفي عدة مناسبات مهمة في تاريخ بني إسرائيل انتهز ا هـود الفرصـة ليعبروا عمّا في دواخلهم من تشوه إيماني، فبعد اجتياز مرحلة الخطـر الفرعـوني وعبور البحر شاهد بنو إسرائيل أناساً مشركين يعبدون الأصنام فكـان طلبـهم التالي:

قال تعالى ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَـى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [4] .

ثم في غياب موسى (عليه السلام) للقاء ربه وبعد أن استأمن أخاه هارون (عليه السلام) لقيادة بني إسرائيل، وإذا بهم يتخذون العجل لعبادته من دون الله عز

(1) سورة البقرة، الآي ٣ .

(2) سورة البقرة، الآي ٥٥ .

(3) سورة البقرة، الآي ٠٨ .

(4) سورة الأعراف، الآي ٣٨ .

وجل قال تعالى ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [1] .

وهكذا مضى اليهود في محاولاتهم لتشويه الذات الإلهية بكل ما يقع تحت أيديهم، و لم ولن يقدروا، وها هم يسخرون ويقولون أنَّ موسى (عليه السلام) عندما ذهب للقاء ربه إنما هو نسي أنَّ به هو العجل الذي بين أيديهم، قال تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [2] قيل (فنسي موسى ان يذكر لكم ان هذا إلهه وإلهكم) [3] .

بل تطرفوا في خيالهم حتى وصفوا رب العالمين بالبخل سبحانه بقولهم يد الله مغلولة، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [4] قال العلماء نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي لعنه الله والذي كان من الأغنياء فلما كفر بنبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) قلَّ ماله فقال إنَّ الله بخيل ويد الله مقبوضة في العطاء. [5]

فإذا وصف رب العزة باليد ويده كذا، أليس هذا من تجسيم للإله؟.

المبحث الثاني

---

[1] سورة الأعراف، الآي ٤٨ .

[2] سورة طه، الآي ٨، .

[3] الشوكاني، فتح القدير ٢ ٨١٢ .

[4] سورة المائدة، الآي ١٤ .

[5] محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي (ت ٧١، هـــ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق احمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثاني ٣٧٢ هـــ ١ ٣٨٤ .

التجسيم في المسيحية

لا يخفى على القارئ أن المسيحية هي الديانة التي ادعت أنَّ البشر يمكن ان يكون لهاً في نفس الوقت. على أن لا ننسى أنهم خففوا من حدة هذا الادعاء بقولهم أنَّ عيسى (عليه السلام) إنما هو ابن الله الروحي وليس الحقيقي، ولكن في المقابل نجد ما يسمى باللاهوت والناسوت والمعلوم أنَّ اللاهوت هو الجانب الإلهي من عيسى والناسوت هو الجانب البشري من . يسى (عليه السلام)، ومن جهة أخرى آمن المسلمون بعيسى (عليه السلام) كنبي مرسل إلى بني إسرائيل وأنَّ الله عز وجل آتاه الإنجيل ليخفف عن قومه من التبعات والالتزامات الدينية التي فرضت على اليهود من قبلُ في عهد سيدنا موسى (عليه السلام) وهذا الذي يؤمن به المسلم وله أدلة صريحة في عدة مواضع من القرآن الكريم ومنها في سورتي المائدة والزخرف.

ولهذا اهتم القرآن الكريم في موضوع عيسى (عليه السلام) أي اهتمام وتجد المعالجة لدقائق الأمور في سور النساء والمائدة ومريم بإسهاب.

وفيما يلي بعض النصوص التي تدل على أنَّ المسيحي يعبد د لك البشر الذي مشى يوماً على الأرض واكل وشرب مع أتباعه ثم رفعه الله عز وجل تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

حتى إنك لتجد أنَّ الإنجيل الحالي مطبوع عليه بعنوان إنجيل ربنا المسيح فالابن هو عيسى وهو المخوّل الوحيد للكلام عن الأب وهو الله عز وجل كما يطالعك ا' نجيل.

جاء فيه ((قد سلمني أبي كل شيء فما من أحدٍ يعرف الابن إلاّ الأب وما من أحدٍ يعرف الأب إلاّ الابن))، .

وفيه عندما كلم عيسى (عليه السلام) تلاميذه ((لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي))، . وفيه ((لما تراءى موسى وإيليا

) متى ١ ٢٧.

للناس نودي من الغمام هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا))[1]. وفيه ((وبعدما كلمهم الرب يسوع، رُفع إلى السماء وجلس عن يمين الله))[2].

وفي الإنجيل أنَّ الناس عندما عرفوا أن يسوع يشفي المرضى جاء ((وهي تصيح أنت ابن الله فكان ينتهرها ولا يدعها تتكلم لأنها عرفت أنه المسيح))[4].

(1) متى ٢ ٩:.

(2) مُرقص ١ ٬.

(3) مُرقص ٦، ٩ .

(4) لوقا : ١:.

مطلب
نظرة قرآنية للموضوع

لقد اهتم القرآن الكريم بهذا الموضوع وهو حقيقة عيسى (عليه السلام) وبشريته هو وأمه وعالجه من كل الاتجاهات، سواء المعجزات التي أتى بها أو قضية الألوهية وعبادة الناس له.

وفيما يلي بعض النصوص القرآنية في الموضوع:

١/ قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[1].

وهكذا ينهى رب العزة أهل الكتاب وبالأخص الإنجيليين منهم أن لا تجاوزوا الحد في عيسى (عليه السلام) كما قال الطبري ((فإن قيلكم في عيسى أنه ابن الله قول منكم على الله غير الحق لأن الله لم يتخذ ولداً))[2].

وقال الشوكاني ((والنصارى مع تفرق مذاهبهم متفقون على التثليث ويعنون بالثلاثة،الثلاثة الأقانيم فيجعلونه سبحانه جوهراً واحداً وله ثلاثة أقانيم بالأب والابن وروح القدس فيعنون بالأب الوجود وبالروح الحياة وبالابن المسيح))[3].

٢/ قال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[4].

قال الطبري ((هذا ذم من الله عز ذكره للنصارى وللنصرانية الذين ضلوا عن سبل السلام واحتجاجاً منه لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) في فريتهم ؛ دعائهم له ولدا)).

---

[1] سورة النساء، الآية ١٧١ .

[2] جامع البيان ٦ ٤٠ .

[3] فتح القدير ١ ٥٤١ .

[4] سورة المائدة، الآية ٧٢ .

وجاء في الدر المنثور ((تفرق بنو إسرائيل ثلاث فرق في عيسى فقالت فرقة هو الله وقالت فرقة هو ابن الله وقالت فرقة هو عبد الله ورسوله وهي المقتصدة وهي مسلمة أهل الكتاب))[2].

وقال الجصاص ((إنما لحقتهم سمة الكفر لأنهم قالوا ذلك على جهة التدين به واعتقادهم إياه والإقرار بصحبته لأنهم لو قالوا على جهة الحكاية عن غيرهم منكرين له لما كفروا))[3].

إذن رأينا كيف رد الله عز وجل على النصارى الذين جعلوا الإله يمشي بين أيديهم يرونه ويتكلمون معه تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا وعلى هذا الأساس ابتدأنا ا حث بقوله تعالى ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[4].

٢ / قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾[5].

هذه الآية رد على الذين جعلوا الله عز وجل ثلاثة أقانيم فهي تخبرنا أنَّ الله عز وجل .و واحدٌ لا شريك له.

قال الطبري ((لأن من كان له ولد فليس بإله وكذلك من كان له صاحبة فغير جائز أن يكون إلهاً معبوداً))[6].

---

(1) جامع البيان ، ٦٢ ٦٣ .

(2) جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت ٩٩٣، ٢ ١٢ ١٣ .

(3) احمد بن علي الرازي أبو بكر (ت ٧٠٢هـ)، أحكام القرآن، دار احياء التراث العربي . ٢: .

(4) سورة الأنعام، الآي ٠٣ .

(5) سورة المائدة، الآي ٧٣ .

(6) جامع البيان ، ٧٧ .

وقال ابن كثير ((المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو اقنـــوم الأب واقنوم الابن واقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علـــواً كبيراً)) .

وقال القرطبي ((وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية لأنهم يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد)) .

) التفسير ، ٢، .

) الجامع لأحكام القرآن ، ٤٩، .

الفصل الثاني
التجسيم عند الفرق الإسلامية
المبحث الأول
النصوص التي توهم التجسيم والتشبيه في القرآن الكريم

بلا شك ان الله عز وجل امتحن المؤمن بنصوص غيبية حتى ينكشف فيه المؤمن عن غيره فيجازيه يوم القيامة، ومن هذا الغيب ما يسمى في علوم القــرآن بالمتشابه .

وهذا ما جاء في القرآن الكريم بقول الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْــغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ﴾ .

وهنا سوف أذكر عض هذه النصوص من متشابه القرآن الكريم:

١. قال تعالى عند الكلام عن سيدنا موسى (عليه السلام): ﴿وَلِتُصْــنَعَ عَلَــى عَيْنِي﴾ .

٢. قال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ .

٣. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ .

٤. قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ .

٥. قال تعالى ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ .

(وهو المشكل الذي يحتاج إلى فكر وتأمل بصورة عامة ومن خلال القرآن هو ما خفــي بــنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً كالمقطعات في أوائل السور. ينظر المناوي، التعريفات ١٣٣ .

(سورة آل عمران، الآية . مع وجود الخلاف هل يعلم الراسخون في العلم بتأويله. ينظر كتب التفسير.

(سورة طه، الآية ٣٩ .

(سورة طه، الآية .

(سورة الفتح، الآية ١٠ .

(سورة الطور، الآية ٤٨ .

(سورة الفجر، الآية ٢٢ .

إذن هذه نماذج لآيات المتشابه من القرآن منها ما يوهم الجارحة كالعين واليد ومنها ما يوهم الجهة كما في سورة الفجر ومنها ما يوهم التحيز كمـــا في سورة طه عند الكلام عن العرش والاستواء. وكل ذلك مأمورون بالإيمان بـــه. وعلى سبيل المثال إذا أردنا أن نتكلم عن الجهة فنقول: ان الله عز وجل في كـــل مكان وإذا كانت الجاري) التي جاءت إلى رسول الله (صلى الله عليه وســـلم) فسألها عن وجود الله فأشارت إلى الأعلى والفوقية، فإنما هي مؤمنة بالفطرة ونحن وبعد اتساع رقعة العلم علمنا من المسلمات الكونية أنَّ الأرض كروية الشـــكل وبناءاً على ذلك فكل من يقف عليها وهي سابحةٌ في الكون لديه سماء، وممكن إذا سُأل عن مكان ربه أن يقول (فوق) ويشير إلى أء ى. وبذا يكون الله عز وجل في كل مكان وفي كل جهة وهذا ما اقرّه العلماء بقولهم (لا في مكان) قال تعـــالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ') سواء كان ابن آدم في الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال.

ويلاحظ ان الله عز وجل أثبت لنفسه صفة العلو في أماكن عدة من قرآن الكريم ومنها:

/ على لسان فرعون ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَـــهِ مُوسَى﴾ ` .

' / قال تعالى ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ' .

) ينظر محمد بن إدريس الشافعي (ت ٠٤ٚ هـــ)، السنن المأثورة، تحقيق د. عبد المعطـــي أمـــين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ٤٠٦ هـــ ٠٥ . وكذلك أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر المزي القرطبي (ت ٦٣ هـــ)، الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا ــ محمـــد علـــي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٠٠٠ٚم ٬ ٣٦ٚ٦ .

') سورة الحديد، الآي . .

`) سورة غافر، الآيتاد ٦ ٧ٚ .

') سورة تبارك، الآي ٦ . وينظر عبد الله بن احمد أبو محمد بن قدامة المقدسي (ت ٢٠ هـــــ)، إثبات صـ ـة العلو، تحقيق عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ٤٠٦ .

المبحث الثاني
الفرق التي قالت بالتجسيم

وقع كثير من الفرق التي ادعت نسبتها إلى الإسلام في شبهة التجسيم فخرجت عن كونها على الطريق الذي يريده الله عز وجل ورسوله. والسبيل الذي ارتضاه رب العزة للمؤمن ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ [1] وقبل أن أبدأ بسرد هذه الفرق أود الإشارة إلى القارئ أن لا يغفل عن كون أغلب هذه الفرق جاءت من جهة الشرق وهو مفتاح الفتن الذي جاءت من بابه كل الفرق التي حاولت التشويه والطعن بالإسلام.

وهذه الفرق هي:

١. الخطابية: هي فرقة ادعت ألوهية أبي الخطاب الأسدي أو عبد الله بن معاوية. [2]

٢. البيانية: إتباع بيان بن سمعان الذي زعم أن معبوده إنسان من ثور على صورة الإنسان في أعضائه وانه يفنى كله إلا وجهه. [3]

٣. الهشامية: المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي الذي زعم أن معبوده على صورة الإنسان وأن نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت [4] وأن له شعرة سوداء وقلباً تنبع منه الحكمة. [5]

---

[1] سورة النساء، الآي ١٥ .

[2] ينظر عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور البغدادي (ت ٢٩. هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الافاق الجديدة، بيروت الطبعة الثانيا ٩٧٧ ١٥ . وأبي الخطاب هذا هو محمد بن أبي زينب الأجدع مولى بني أسد. ينظر الملل والنحل ٧٩ .

[3] الفرق بين الفرق ١٤ .

[4] أي يابس. ينظر ابن منظور، لسان العرب ٢٦ .

[5] ينظر البغدادي، الفرق بين الفرق ١٦ . وهناك فرقة أيضا تدعى الهشامية نسبة إلى هشام ن الحكم والذي يزعم أتباعه ان معبودهم جسم له نهاية وحد طويل عريض عميق وطوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه. ينظر علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري (ت ٢٤ هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلموت ريتر، دار احياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة ٢١ .

. . لمغيرية: إتباع المغيرة بن سعيد العجلي الذي زعم أنَّ معبوده ذو أعضاء وأنَّ أعضاءه على صور حروف الهجاء.)

. الجناحية: إتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وهي فرقة حلولية أيضاً لدعواهم أنَّ روح الإله حلّت في عبد الله بن معاوية. ´)

. المنصورية: اتباع أبي منصور العجلي الذي شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد إلى السماء وزعم أيضاً أنَّ الله مسح يده على رأسه وقال له يا بني بلغ عني. ˝)

. السبابية: هم الذين سموا علياً رضي الله عنه إلهاً وشبهوه بذات الله ولما أحرق قوماً منهم قالوا له الآن علمنا أنك إله لأن النار لا يعذب بها إلا الله. ·)

. الحكمانية: وهم طائفة حلولية أيضاً نسبة إلى أبي حكمان الدمشقي الذي زعم أن الإله يحل في كل صورة حسنة وكان يسجد لكل صورة حسنة. ')

. المقنعية المبيضة: وهي فرقة وراء نهر جيحون إدعوا أنَّ المقنع كان إلهاً وأنه مصور في كل زمان بصورة مخصوصة. ')

. . العذ قرة: الذين قالوا بإلوهية ابن أبي العذاقر المقتول ببغداد. ´)

) الفرق بين الفرق ١٤٠ . وقال الله جسم على صورة إنسان من نور على رأسه تاج. ينظر عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي (ت ٧٥٦ هـ)، المواقف، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧، ٣ ١٧٢ .

´) البغدادي، الفرق بين الفرق ٢٤٢ بتصرف.

˝) م . ن ١٤ ١٥٠ .

·) البغدادي، الفرق بين الفرق ١٤٠ . وينظر أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ ٥٧ .

') البغدادي، الفرق بين الفرق ١٥٠ .

') م . ن ١٥٠ . والمقنع هذا هو من أتباع أبي مسلم الخراساني وادعى النبوة والألوهية ثم قتل. ينظر الرازي، الاعتقادات ٩ ١٠ .

´) البغدادي، الفرق بين الفرق ١٥٠ .

١. اليونسية: المنسوبة إلى يونس بن عبد الرحمن القمي الـذي زعـم أنَّ الله تعالى يحمله حملة عرشه وان كان هو أقوى منهم.[1]

٢. الابراهيمية: المنسوبة إلى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي وكان مـن رواة الأخبار إلا أنه ضلَّ في التشبيه.[2]

٣. الحايطية: المنسوبة إلى أحمد بن حايط وكان من المعتزلة المنتسبة إلى النظام ثم شبَّه عيسى بن مريم بربه وزعم أنه الإله الثاني وأنه هو الذي يحاسب الخلق في القيامة.[3]

٤. الكرامية: من مجسمة خراسان[4] والذين زعموا أنَّ ربهم ذو نهايـة مـن الجهة الي تلاقي منها العرش ولا نهاية له من خمسة جهات سواه[5] وتنتسب وتنتسب إلى محمد بن كرام وكان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيهـا إلى التجسيم.[6]

[1] م. ن ١٦'. وينظر الملل والنحل ٨٨.

[2] البغدادي، الفرق بين الفرق ١٦'.

[3] م. ن ١٦ ١٧'.

[4] م. ن ١.

[5] م. ن ٢٠ٚ.

[6] الشهرستاني، الملل والنحل ٠٨. وينظر الأيجي، المواقف ٢ ١٥'.

المبحث الثالث
موقف العلماء من التجسيم

انقسم الناس في النظر للآي المتشابه أو الصفات الخبرية إلى عدة طـــرق فمنهم من ش ه ومنهم من عطل ومنهم من فوّض كما جاء ((فمن الناس من فـــرَّ إلى التخييل ومنهم من فرَّ إلى التعطيل ومنهم من فرَّ إلى التجهيل ومنهم من فرَّ إلى التمثيل ومنهم من فرَّ إلى الله ورسوله))[1] .

ولكن بالمقابل شنّع العلماء بالإجماع على من حاول أن يشبه الذات الإلهية بخ قه أو يجسم.

وفيما يلي بعض النصوص للعلماء في ردّهم على المشبهة والمجسمة جـــ ء ((بل المشبه الذي يثبت الإله على صفة يشبهه فيها بخلقه والمجسم كذلك لأنه إذا أثبت جسماً مخصوصاً غير معين فإنه يشتبه عليه بالأجسام المحدثة فثبت أنَّ المجسم مشبه وكل مشبه كافر بالإجماع فالمجسم كافر))[2] .

ويبرز هنا قول ابن بطال[3] بقوله تعليقاً على الموضوع (وأمـــا قـــول المجسمة ففاسد أيضاً لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي

---

[1] محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت ٥١' هـــ)، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالث ٩٩٨ ' ٤٠: .

[2] احمد عبد الحليم أبو العباس الحراني ابن تيمية (ت ٢٨' هـــ)، بيان تلبس الجهميـــة في تأســـيس بدعهم الكلامية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ٣٢٩ هـــ ٨١ .

[3] هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف البكري القرطبي (ت ٤٩ هـــ)، له شرح للبخاري. ينظر محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٤٨' هـــ)، سير أعـــلام النـــبلاء، تحقيـــق شـــعيب الارناؤوط. محمد نعيم الوقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسع ٤١٣ هـــ ٨ ٧: .
وكذلك أبي الطيب السيد صديق حسن القنوجي (ت ٣٠٧ هـــ)، الحطة في ذكر الصحاح الســـتة، دار الكتب التعليمية، بيروت، الطبعة الأولى ٤٠٥ هـــ ــ ٩٨٥ م ٨٤ .

وهو محال في حق الله تعالى ولائق بالمخلوقات لقول الله تعالى ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ .

وللعلماء في كتب الفقه أبواب خاصة للنظر في حكم ا: سمة وغيرهم من فرق الضلال وهل يجوز الإطلاع على كتبهم. فقد جاء ((وكذلك المجسمة صنفوا كتباً فلا يحل النظر في تلك الكتب ولا إمساكها فإنهم شرُّ أهل البدع)) .

بل كفرهم بعض العلماء فقد جاء ((ولا تقبل شهادة المجسمة لأنهم كفرة)) .

وجاء ((المجسمة كفار لأنهم عبد ا جسماً وهو غير الله تعالى ومن عبد غير الله تعالى كفر)) .

سورة المؤمنون، الآي ٨ . ينظر احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٥٢. هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المع فة، بيروت، ٣ ٠٦.: .

الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية، دار الفكر ٤١١ هـ ، ٧٧ .

ابن أمير الحاج (ت ٧٩، هـ)، التقرير والتحبير في علم الأصول، دار الفكر، بيروت ٤١٧ هـ ٢٥: .

محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٩٤٠ هـ)، المنثور في القواعد، تحقيق د. تيسير فائق احمد محمود، وزارة الأوقاف، الكويت، الطبعة الثاني ٤٠٥ هـ ١١ .

المبحث الرابع
القائلون بالتفصيل

تبنى السلف رحمهم الله في المتشابه مواقف معروفة وخرجوا بموقفين أساسين منه وهما التأويل أو التفويض والإيمان والتصديق به من دون تكييف وهنا اذكر هذين المذهبين بشيء من التفصيل:

1 / التفويض أو التوقف والإيمان دون تكييف

وهذا هو المذهب الأساس الذي تبناه السلف الصالح وهو مذهب المفسرين وأهل الحديث وظلَّ هذا المذهب مستمراً إلى عهد الإمام احمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن معين [1] ويقول العلماء ((إنَّ أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتتريله وشهد له بها رسوله على ما ورد في الاخبار الصحاح ونقله العدول الثقات ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ولا يكيفوها تكييف المشبهة)) [2].

وفيه ((فذمَّ مبتغي التأويل وقرنه بمبتغي الفتنة في الذم ثم اخبر أنه لا يعلم تأويله غير الله تعالى)) [3] وكلام المقدسي هنا عن قوله تعالى في سورة آل عمران عند الحديث عن المحكمات والمتشابهات. [4]

وجاء ((وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تتريله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله)) [5].

---

[1] ينظر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة 984 58 465 الحديث عن علم الكلام.

[2] عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي (ت 20 هـ)، ذم التأويل، تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى 406 هـ 6 .

[3] م . س 7 .

[4] ينظر الآي .

[5] ينظر أبي محمد عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي (ت 20 هـ)، لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق ب ر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى 406 هـ .

وقد قسم العلماء التأويل إلى قسمين:

أ ــ تأويل التحريف وهو المذموم وهو الميل بالنصوص عن ما هي عليه إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها.

ب ــ تأويل التفسير وهو الحق.)

وعلى هذا الأساس الثاني وهو (تأويل التفسير) أوَّل الصدر الأول من الصحابة والتابعين كابن عباس ومحمد بن كعب وعبد الرحمن بن سابط وسعيد بن جبير.)

ومن خلاصة هذه النصوص يتضح أنَّ السلف لا يحبذون التأويل بل يجرون النصوص المتشابهة على ما هي عليها إيماناً واعتقاداً بأنها حقيقة إلا أن معرفة هذه الحقيقة غير منكشف ولن ينكشف في هذه الحياة الدنيا، وغير بعيد كلمة الإمام مالك في موضوع الاستواء على العرش قوله ((الاستواء معلوم والكيف مجهول)) .

٢ / **التأويل:** وهو مذهب انتهجه أغلب علماء المسلمين من سنة وشيعة ماتريدية وأشاعرة وكذلك المعتزلة.

يقول الرازي رحمه الله ((جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار)) .

فهذا المذهب هو الجناح الثاني الموازي لمذهب التفويض، ففي بعض الأحايين يضطر أهل التفويض إلى تأويل بعض النصوص وحتى أهل الحديث منهم كم جاء

) أبو العباس احمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣ هـ)، الصواعق المحرقة، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي، وكامل محمد الخياط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، ١/١٧ .

) دون مؤلف، الرد على الجهمية، تحقيق علي محمد ناصر الفقهي، المكتبة الأثرية، باكستان، ١/٥ .

) الزرعي، الصواعق المرسلة ٢/ ١٢٣ .

) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي بن الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، أساس التقديس، القاهرة ١٩٣٥ ، ص ٧٩ .

((والحنابلة أيضاً بينهم نزاع فمنهم من ينفي ـذه الصفات) ويوجب تأويل النصوص ومنهم من يجوز التأويل ولا يوجبه)) .

فمثلاً قال العلماء في قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ .

((انه على العرش وعلمه في كل مكان وهو قول علماء الصحابة والتابعين)))

وفي الحديث الذي ر اه مسلم ((ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها))) جاء ((وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحة لعبده ومع هذا يستلزم التعدد بحسب المتقربين والتجزئة والتفرقة)) .

قد قال العلماء: ((نعم قد لا يكون مفر من التأويل التفصيلي عند مناقشة العامي وتعليمه إذ يعيش في مجتمع مادي أو مجسم للذات العلية أو مشبه لها بالخلق حينذاك يكون التأويل هو المقدم وحده)) .

إذن فالواضح من الاستقراء لكتب علم الكلام أن النهج الإسلامي الصحيح لفهم متشابه القرآن الكريم اتخذ مسلكان أساسيان لا ثالث لهما فإما التوقف والتسليم بلا كيف وإما التأويل ولكن بشروط لا تتقاطع مع المعطيات

) يقصد صفات الله عز وجل سواء العينية كاليد أو المعنوية كالقدرة.

) ٧/ .

) سورة المجادلة، الآي / .

) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت ٥١' هـ)، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٩٨٤ م ١٤ .

هذا القول للصحابة والتابعين، ينظر المصدر نفسه ١٤ .

) رواه الإمام مسلم رحمه الله في الرقائق ، ١٠٥ برقم ٦٥٠٢ عن عثمان بن كرامة ٠ ٧٤' .

) أبو بكر الحصني الدمشقي (ت ٢١، هـ)، دفع شبه من شبّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الجليل الإمام احمد، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ٦ .

) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت ٢٧' هـ)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام، الطبعة الأولى ٩٩٠ ٩ .

الصحيحة للعقيدة الإسلامية ومن أهم أصولها الإيمان بالله عز وجل كخالق ليس كمثله شيء ولا تدركه الإبصار، بالإضافة إلى كون هذا الت ويل لا يتقاطع مـــع الأسس السليمة للغة العربية (لغة القرآن)، ونحن نعلم أن البعض قد حاول الخروج بتأويل وبنية التتريه فخرج عن المعنى الصحيح لمراد القرآن وللغة العربية كمـــا في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [ ] بقوله إن (على) هنا بمعنى (إلى) حتى يخرج من إشكالية المكان والاستقرار والجهة وقد مرَّ سابقاً.

[ ] سورة طه، الآي ٥.

الخاتمة

توصل البحث إلى نتائج عدة منها:

١. وضع القرآن الكريم للمسلم خطوطاً لا يمكن تجاوزها حول موضوع حقيقة الذات الإلهية بأنه لا يمكن في كل الأحوال انكشافها في الحياة الدنيا.

٢. يمكن أنْ يرى رب العزة في الآخرة وذلك للنصوص المتواترة من القرآن الكريم والسنة والنبوية.

٣. وقع اليهود في التجسيم وذلك من خلال النصوص التي ذكرناها واخترنا نموذجاً ــ سفر التكوين ــ.

٤. ثَّبت القرآن الكريم هذه الحقيقة.

٥. وقع النصارى في التشبيه والتجسيم وقدْ ذكرنا النصوص الإنجيلية في الموضوع.

٦. ثَّبت القرآن الكريم هذه الحقيقة في سور عدة منها النساء والمائدة والزخرف.

٧. وقع في التجسيم أناس ادعوا نسبتهم إلى الإسلام كذباً.

٨. وصلت الفرق الإسلامية التي وقعت في التجسيم إلى أكثر من عشرة فرق.

٩. لا يؤيد الباحث قول القائل أنَّ التفويض هو المذهب الأسلم، بل إنَّ التأويل في بعض الأحيان هو الأولى من السكوت كما ذكر العلماء في قولهم حول ما جاء في الحديث القدسي الجليل ((كنت سمعه الذي يسمع به....)) الخ الحديث، أنَّ الباري سبحانه لا يمكن أن يكون جارحة لعبده، كما يقتضي الحديث التعدد والتجزئة بحسب عدد المتقربين لله عز وجل وهذا محال إذنْ فهما جناحان متوازيان فإن أمكن الإيمان والسكوت من غير تكييف فهو الأصل وإلا فلا مانع من التأويل كما

ذكر الإمام الرازي بأن كل الفرق الإسلامية اتفقت على جوازه بشـــرط أن لا يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة في الله عز وجل، ولا يخرج عن سار اللغة العربية وقواعدها باعتبارها لغة القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

أ

الأشعري: علي بن إسماعيل بن الحسن (ت ٢٤ هـ)

١ . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلموت ريتر، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

ابن أمير الحاج (ت ٧٩، هـ)

٢ . التقرير والتحبير في علم الأصول، دار الفكر، بيروت ٤١٧ هـ.

الأيجي

٣ . عضد الدين عبد الرحمن بن احمد (ت ٥٦' هـ)، المواقف، تحقيق د. عبد لرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ٩٩٧ م.

ب

البصري: أبو بكر محمد بن الحسن الازدي (ت ٢١ هـ)

٤ . جمهرة اللغة، أعادت طبعه مكتبة المثنى، بغداد.

البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور (ت ٢٩ هـ)

٥ . الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثاني ٩٧٧ .

ت

ابن تيمية: احمد عبد الحليم أبو العباس الحراني (ت ٢٨ هـ)

٦ . بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ٣٢٩ هـ.

ج

الجرجاني: علي بن محمد بن علي (ت ١٦. هــ)

٧ . التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٤٠٥ هــ.

الجصاص: احمد بن علي الرازي أبو بكر (ت ٧٠ هــ)

٨ . أحكام القرآن، دار احياء التراث العربي.

بن جماعة: محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت ٢٧ هــ)

٩ . إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام، الطبعة الأولى ٩٩٠ .

ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٧ هــ)

١٠ . زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ٤٠٤ هــ.

ح

ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٢٧ هــ)

١١ . تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق اسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

ابن حجر: احمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٥٢. هــ)

١٢ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

ابن حجر: أبو العباس احمد بن محمد بن محمد بن علي الهيتمي (ت ٧٣ هــ)

١٣ . الصواعق المحرقة، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي، وكامل محمد الخياط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ٩٩٧ .

خ

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي

١٤. مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

د

الدمشقي: أبو بكر الحصني (ت ٨٢١ هــ)

١٥. دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الإمام احمــد، تحقيــق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

ذ

الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هــ)

١٦. سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط. محمد نعيم الوقسوســي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـــ.

ر

الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦ هــ)

١٧. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشـــار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـــ.

١٨. الرد على الجهمية، دون مؤلف، تحقيق علي محمد ناصر الفقهي، المكتبة الأثرية، باكستان.

ز

زرعي: محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هــ)

١٩. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق د. علي بـــن محمـــد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٢٠. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتـــب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

الزركشي محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤ هــ)

٢١ . المنثور في القواعد، تحقيق د. تيسير فائق احمد محمود، وزارة الأوقاف، الكويت، الطبعة الثاني ٤٠٥ هـ.

س

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١ هـ)

٢٢ . الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت ٩٩٣ .

ش

الشافعي: محمد ن إدريس (ت ٠٤ هـ)

٢٣ . السنن المأثورة، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ٤٠٦ هـ.

الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد (ت ٤٨ هـ)

٢٤ . الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ٤٠٤ هـ.

الشوكاني: محمد بن علي بن مد (د ٢٥٠)

٢٥ . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار الفكر، بيروت.

ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي ٣٠ هـ)

٢٦ . مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ٤٠٩ هـ.

ط

الطبري: محمد بن جرير بن ي يد بن خالد أبو جعفر (د ١٠ هـ)

٢٧ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت ٤٠٥ هـ.

ع

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله المزي القرطبي

١٨ . الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا ـــ محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٠٠٠ م.

ف

ابن فارس: أبو الحسين احمد بن زكريا (ت ٩٥ هـ)

١٩ . معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران، قم.

الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ٧٥ هـ)

٢٠ . العين، تحقيق د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي.

ق

القاري: علي بن سلطان محمد

٢١ . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال عثياني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٤٢٢ هـ.

ابن قدامة: عبد الله بن احمد المقدسي (د ٢٠ هـ)

٢٢ . ذم التأويل، تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ٤٠٦ هـ.

٢٣ . إثبات صفة العلو، تحقيق عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ٤٠٦ هـ.

٢٤ . المغني في فقه الإمام احمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر.

٢٥ . لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ٤٠٦ هـ.

القرطبي: محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج (ت ٧١ هـ)

٢٦ . الجامع لأحكام القرآن، تحقيق احمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية ٣٧٢ هـ.

القنوجي: أبي الطيب السيد صديق حسن (ت ٣٠٧ هـ)

٢٧ . الحطة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب التعليمية، بيروت، الطبعة الأولى ٤٠٥ هـ.

ك

ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٤' هـ)

٢٨ . تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت ٤٠١ هـ.

م

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري

٢٩ . لسان العرب، دار صادر، بيروت ٩٥٦ م.

ن

الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند

الفتاوى الهندية، دار الفكر